مجلة المجمع العلمي

اللغـــة والإعـــلام

الدكتور أحمد جواد العتابي
كلية التربية / الجامعة المستنصرية
قسم اللغة العربية

الملخص :

عرض البحث طبيعة العلاقة بين اللغة العربية والاعلام مستندا الـــى ما تبثه الفضائيات العربية من برامج متنوعة دينية وثقافيـــة وترفيهيـــة ولقاءات واعلانات وحوارات متخذا من لغة الخطـــاب الاعلامـــي مـــادة لموضوعه في التحليل ورسم صورة للواقع اللغوي الاعلامـــي بوصـــفه واقعا يقوم على استباحة كل قيم اللغة من وازع ديني او وطني او قومي وقد تمثل ذلك بشيوع مستويات من الخطاب الاعلامي المهجن وبتغليـــب اللهجات العامية بالقوة والاحتفاء باللغات الاجنبية المفضلة بوصفها بديلا حضاريا عن اللغة القومية .

لقد شاع في لغة الخطاب الاعلامي مستوى لغوي يميل الى السهولة المتحررة من اية قواعد او نظام وسبب ذلك كله يعود الى غياب السياسة اللغوية فضلا عن التخطيط اللغوي اذ فتح الباب على مصراعيه للاســـاءة الى اللغة وهتك قدسيتها واهانتها والحط من محمولها الثقافي .

المقدمـــة :

يعد الإعلام أحد مظاهر النشاطات الموجه التي لها تأثير بالغ فـــي المتلقي أيًا كان طفلا أو مراهقًا ومن كلا الجنسين ، إذ إن وسائله كثيـــرة بدءً بالصحيفة اليومية وانتهاءً بالفضائيات الكونية ، إن أداة الإعلام هـــي اللغة منطوقةً أو مكتوبة ، مرئية أو مسموعة واللغة العربية شأنها شـــأن غيرها من اللغات في كونها لغة الإعلام في البلاد العربية إلا أنها عرض لها ما لم يعرض لغيرها من لغات المجتمعات الأخرى، فلـــم تعـــد اللغـــة الوحيدة في أجهزة إعلامها الوطنية ، فهناك اللهجات المحليـــة المحكيـــة وهناك اللغات الأجنبية وهناك اللغة الهجينة التي تخلط بين هذا وذاك مـــن عربية فصيحة وعامية دارجة وأجنبية وافدة مفضلة ، وكل ذلك يعد تهديدا مباشرا للغة معلنا أو غير معلن [١]

ويعد المستوى الإعلامي واحدا من بين ثلاثـــة مـــستويات للتعبيـــر اللغوي في وظيفة الاتصال ، إذ هناك المستوى التعبيري وهو تذوقي فني جمالي ومجاله الأدب والفن ، وهناك المستوى الاقناعي ومجاله الدعايـــة والعلاقات العامة . والمستوى الإعلامي وهو الذي يتوسل باللغة لتوصـــيل المعلومات[٢] .

والإعلام هو أكثر الأنشطة الاجتماعية اســـتعمالا للغـــة ، وعلاقـــة الإعلام باللغة علاقة ذات حدين ، إذ يمكن أن يفيد الإعلام اللغة ويعمـــل

---

[١] ينظر في الإرهاب اللغوي . الدكتور احمد جواد العتابيّ / مـــن بحـــوث المـــؤتمر السادس عشر كلية التربية / المستنصرية ٢٠٠٩ .

[٢] ينظر اللغة العربية والفكر المستقبلي / ١٠٦ .

على توحيد استعمالها ، ويمكن أيضًا لهذا الإعلام أن يضر اللغة أشد الضرر إذا أسيء استعماله وقصد به التزييف والتمويه ، إذ إن واقع العلاقة بين الإعلام واللغة في بلداننا العربية واقع مبني على الإضرار باللغة والتضحية باستعمالها وعدم المبالاة باحترامها، وذلك بإشاعة استعمال اللهجات المحكية المحلية والاحتفاء باستعمال اللغات الأجنبية ولاسيما الفرنسية والانكليزية بوصفهما بديلا حضاريًّا عن اللغة القومية ، إذ يبلغ ما تبثه الأقمار الصناعيّة من أفلام باللغة الانكليزية ٧٠% وهذا يمثل حصارا فضائيا ذا محمول ثقافيٌّ يتمثل بسيل من عرض للسلع والأفراد والمعرفة والصور والجريمة والقيم والأفكار في الجنس والمعتقدات والمفاهيم الاجتماعية إذ اخذ يستحوذ على الناشئة ويجرهم إلى عوالم من الرؤى والاتجاهات مؤسسًا لعزلة ثقافية وقطيعة معلنة مع المعرفي والجمالي والإنساني في ثقافتنا وتراثنا، واخذ يتغلغل في لغتنا من جهة المضمون مبتعدًا بها عن محمولاتها الثقافية فتصبح مطيّةً لمحمولات مناهضة لمنظوماتها من القيم الخاصة بها[٣] إذ يسعى إلى التفلت من اللغة المعيارية إذ هناك بنية لغوية سهلة شاعت وانتشرت تتمثل بالاختصارات اللغوية العربية التي تزاوج بين الحروف والأرقام مبتعدة عن قواعد لغتنا الفصيحة مفضلة العامية المكتوبة في الغالب بالحروف اللاتينية ولا سيما في رسائل البريد الالكترونية ففي برنامج حواري بعنوان (ميديا) يبث عبر قناة دبي الفضائية يتضمن مقابلة مع دكتورة وهي أستاذة مساعدة

---

[٣] ينظر اللغة في العصر الحديث /١٧٠.

متخصصة بالتسوق والعلاقات العامة بجامعة (فرجينا كوسين ولث) بقطر، وموضوعه المسابقة التي تجريها الجامعة للطالبات كل عام تقول :

- الطالبة ممكن تعمل أكثر من عمل فني، مسموح إليها أن تبْعَتلنا فقط واحد ، ممكن أن يكون إما (drawing) رسمة: ممكن أن يكون sketch .

ممكن يكون (story board) أو ممكن يكون model متى ما انتهوا بيكون هذا الـ form عبّتو بالمعلومات الشخصية هون بتعمل explanation of idea باللغة الانكليزية عن أيش فكرتها كانت ؟

- Next year ، إن شاء الله المسابقة حتاخذ إطار أوسع (انتهى) .

إن شيوع مثل هذا المستوى في الخطاب الإعلامي يؤدي إلى مزيد من الضعف ويؤسس لتخريب معلن للغة القومية والى تدني مكانة اللغة بين أهلها وأبنائها ومستعمليها ، إذ إن هذا المستوى اللغوي شائع ومتفشٍ في بلدان المغرب العربي مع اللغة الفرنسية مثلما هو شائع ومتفش في دول الخليج ولبنان ومصر مع الانكليزية.[٤]

ومن خطورة الخطاب الإعلامي ما يشاع في ترسيخ فكرة (إن الجمهور يريد البث بالعامية وينفر من البرامج الفصيحة).

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: (إن ما يحدث من طغيان العامية في الأغاني والتمثيليات والبرامج أمر لا مثيل له في أية إذاعة أوربية) ويضيف أيضا: (وينسى هؤلاء أن وسائل الإعلام يجب أن

---

[٤] ينظر اللغة الثالثة / ٢٠.

تكون موجّهة لا موجَّهة وهذا بعني أنها لايصلحّ أن تتملق عواطف الجمهور أو تجري وراء نزواته بل يجب أن توجهه وتأخذ بيده وتقوده إلى حيث تريد .[٥]

ومن هذا التملق ما تبثه إحدى الفضائيات العربية برنامجا بعنوان (برنامج الحياة) وفي موضوع (أضرار الموجات الكهربائية)، يقول مقدم البرنامج: إحنا ممكن نمسك أي جهاز ونقيسه في الأوضهْ ، حنبص وانلائي إن الأوضهْ دي معبّأة بموجات... الخ.

يقول الدكتور أحمد معتوق معلقا: ما ضر مقدم البرنامج لو قدم هذه المعلومات عل النحو الآتي (لو أخذنا أي جهاز وقسنا به مستوى الموجات الكهربائية المنبعثة في غرفة ما فستجد أن هذه الغرفة مملوءة بهذه الموجات)[٦] .

ويجري هذا المستوى المهيمن على لسان بعض الدعاة وهم كثر ، ولهم برامج متعددة ، وسنعرض لحديث أحد الدعاة المشهورين في قناة دينية عربية ، إذ يقول:

موضوعنا النهارده موضوع بيئْليءْ أمهات وأبهات كتير، ومش بعيد يضيع شباب وساعات يهدي الشباب موضعنا هو (صُحابكو) ، هل هما فعلا صحاب سوء ولا صحاب خير... إلى آخر الحديث .

ومثل هذا كثير في وسائل الإعلام ولاسيما الفضائيات بل هو المهمين والسائد في خطابنا الإعلامي أما الإعلانات فإن لها النصيب الأوفر من

---

[٥] ينظر الدراسات في اللغة /٢١٩ وكذلك اللغة الثالثة /٢٣٠.

[٦] ينظر اللغة الثالثة /٢٣٠.

العناية والرعاية إذ أحيانا تكون الإعلانات هي مادة البث في قنوات إعلانية فضائية ، ويتوقف رواج الصحف وسيرورتها على ما تجبيه من أرباح إعلاناتها ، وغدا الإعلان في الصحافة موضوعًا قائمًا برأسه تفرد له منشورات وملاحق . وهذا الأمر يمثل خطابا لغويا خاصًّا به فضلا عن أنه يمثل أحد أوسع أنماط الخطاب انتشارا (نهاد/١٢٩).[٧]

وهو خطاب لغوي ممتد ذو تجليات شتى وآثار عريضة ورسالته تواصلية مباشرة مقصودة ، فهو خطاب براغماتي لأنه يوظف اللغة لغايةٍ .

وللخطاب في الإعلان مستويات شأنه شأن الخطاب الإعلامي يتردد بين حدين متقابلين، فهو يروج للفصيحة (بالفعل) في قنواته المتخصصة ولكنه يخرق العرف خرقا فاضحا في أمثلته التي تتخذ العامية مستوىً مقصودا في الخطاب .

وقد رسم الدكتور نهاد الموسى في كتابه (اللغة العربية في العصر الحديث قيمّ الثبوت وقوى التحول) صورة عجلى لملامح الإعلانات في وسائل الإعلام فهي عنده:

١- فهي في لغة اعلانات النعي نمطيه تعتمد على التناص (مع النص المقدس القرآن أو الإنجيل).

٢- في إعلانات المؤسسات الرسمية والعامة تجري على مثال الفصيحة التقريرية .

---

[٧] ينظر اللغة العربية في العصر الحديث /١٦٠.

٣- في الإعلانات المبوبة تكون مجتزأة تسوق المعطيات والمعلومات بلا روابط ولا تأبه بالسلامة النحوية كأنما هي عامية (شقة ، غرفتين نوم ...) وهذا يشيع نمطا في الخطاب البراغماتي الذي يعوّل على السياق بمعناه الواسع معتمدا على ذهن المتلقي.

٤- في غالب الإعلانات التجارة عامية محكية محلية .

٥- في إعلانات بعض الشركات عن فرص العمل تكون بالانكليزية.

إن ما يعنينا أن العربية في الإعلان تتخذ ضروبًا في المستويات والتجليات وأنها ليست منفكة عن شروط السياق الاجتماعي الثقافي والاقتصادي [٨]الموسى/١٣٢.

إن الإصرار الذي نجده في الخطاب الإعلاني ولا سيما التجاري على اتخاذ العامية المحلية لغةً لترويج منتجه يعد سلوكا لغويا يضر باللغة العربية الفصيحة مهما كانت المسوغات.

إن الخطاب الإعلاني خطاب شفوي مباشر إذ إن الكلمة المنطوقة تستثير الحواس الخمس في المستمع بشكل درامي . فالإعلان بصحية الإيقاع المشوق والصور الجداية .[٩]

والحركة والإشارات الموحية لذلك يكون تأثيره أبعد وأعمق ، واللغة أداة الإعلان ترقى برقيّه وتنحط بانحطاطه ، إذ لابد من أن تكون لغة الإعلان مختارة منتقاة بحس لغوي مهذب يعرض المادة الإعلانية مراعيا مدلولاته وإيماءاته الصوتية والسياقية ، وبذلك يتمكن هذا الخطاب من

---

[٨] ينظر نفسه /١٣٢.

[٩] اللغة الثالثة /٢١٨.

اختراق الأذهان وتقويم الألسن وإمتاع النفوس وفذلكة القول، إن مقدمي البرامج والمواد الإعلامية والتثقيفية في كل أجهزة الإعلام والاتصال الاجتماعي يجب أن يتوجهوا إلى البحث عن كل ما من شأنه أن يرتقي بمخزونهم اللغوي بما يثريه من ألفاظ فصيحة وما ينمي مهاراتهم في التذوق اللغوي من حيث الاختيار والانتقاء ، إذ يؤدي ذلك إلى طلاقة أفكارهم وألسنتهم ويغنيهم عن شيئين :

الأول : عن استعمال الألفاظ والتراكيب والصيغ الأجنبية التي لا حاجة لهم بها .

والثاني: عن اللجوء إلى استعمال العامي المحلي وعن الارتجالية اللغوية .

إن المتتبع للغة البرامج الترفيهية والإعلامية والحوارات والمقابلات والإعلانات والاتصالات التي تبث عبر فضائياتنا العربية يجد هناك خلطا في التعبير وتداخلا بين ألفاظ اللهجات العامية وعبارتها وألفاظ اللغات الأجنبية وتراكيبها ، وأن هناك إفراطا وعشوائية في هذا الخلط ولنضرب لذلك مثلا من برامج ((القافلة)) الذي يعرض عبر قناة خليجية فضائية وهو عبارة عن استطلاع وصفي عن بعض المناطق والمعالم التاريخية والسياحية في دولة (البرتغال) . تقول مقدمة البرنامج :

- كتير فيه الواحد يجي هون يمكن بس لحتي يتفرجوا ما ضروري يشتروا . فرصة كثير الكن تتذوقوا الفواكه بـ(ماديرة) لأن في كتير أنواع فواكه يمكن أول مرة بتاكلوها أو اذووقها ، والشي الحلو أنها مزروعة هون ...

الخاتمـــة :

إن المساحة الكبيرة التي يشغلها الإعلام بمختلف صوره وأشـــكاله جعلت منه مؤثرا فاعلا في اللغة سلبا وإيجابا. إذ إن أثـــر الإعـــلام فـــي عربيتنا المعاصر يضاهي أثر الشاعر في عربية التراث، فالإعلام يعد قوة فاعلة في التأثير في اللغة من حيث معجمها ودلالتها وتراكيبها وإشاعة هذا اللفظ أو ذاك وهذا التركيب أو ذاك محدثا أو مترجما أو اقتراضـــا وقـــد تنبهت كثير من المجتمعات ولا سيما تلك التي تحتفي بلغتها وتحافظ عليها إلى خطر الإعلام فأصدرت القوانين والتوصيات وأنشأت معاهد التنميـــة البشرية في مجال إعداد المشتغلين وتدريبهم في حقل الإعـــلام واتبعـــت سياسة لغوية صارمة في الاستعمال اللغوي متخذةً من التخطـــيط اللغـــوي سبيلا لإشاعة استعمال لغتها صحيحةً سليمة . إلا أن واقـــع الأمـــر فـــي إعلامنا العربي يثير الألم والحزن والإحباط لأنه واقع لا يخضع لـــضابط ولا لمعيار ولا لقوانين مشتركة بين الأنظمة السياسية التي تسيطر علـــى الإعلام في أغلب البلدان العربية إذ يلاحظ أن الأمر ترك لحالـــه وكـــان لسان حاله يقول (دع الإعلام وشأنه ، ودع لغتك وشانها) .

وليست العلاقة بين اللغة والإعلام بعلاقة بناء وتطـــور وارتقـــاء وإنما هي علاقة هدم وتشتت وانحطاط في الأعم الأغلب .

المصـــادر

١- دراســـات وتعليقـــات فـــي اللغـــة – الـــدكتور رمـــضان عبـــد التـــواب القاهرة ،١٩٩٤م.

٢- في الإرهاب اللغوي ، من بحوث المؤتمر العلمي السادس عشر لكلية التربية السنوية /٢٠٠٩.

٣- اللغة الثالثة ، الدكتور احمد المعتوق ، المغرب /٢٠٠٥م .

٤- اللغة العربية والفكر المستقبلي، الدكتور عبد العزيـــز شـــرف بيروت ، ط١/١٩٩١م .

٥- اللغة العربية في العصر الحديث ، قيم الثبوت وقوى التحول ، الدكتور نهاد الموسى ، عمان /٢٠٠٧.